# التّحْديد القَبَلي والجُغرافيّ لأخذ اللّغة

## دِراسَة نقديّة لنصّ السّيوطِيّ

د/ عبد الرؤوف وليد العرفج (*)

**المقدمة:**

بِسم الله الرّحمنِ الرحيم، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فإن أهم ما يُعنَى به طالبُ العربيّة معرفةُ أصولها ومَآخِذِها، قبل ضبط فروعها ومسائلها، ولقد ألّف العلماء في ذلك قديما وحديثا –جزاهم الله عنا خيرا–، ومن خير ما أُلِّفَ في ذلك كتاب الاقتراح في أصول النحو للإمام جلال الدين السيوطي –صب الله عليه شآبيب الرحمة– غير أني وجدته يُعَيّن بعض القبائل الذين تؤخذ عنهم اللغة دون بقية القبائل، وكان ذلك مما استرعى انتباهي؛ فأحببت أن أدرس هذا الأمر، من أول من قاله؟ وهل هو مأثور عن أئمة اللغة الأقدمين الذين أخذت عنهم اللغة؟ وهل العلة التي ذكروها لذلك كافية في الاقتصار عن الأخذ عن هذه القبائل دون غيرها؟ ونحو ذلك من التساؤلات التي تنشأ من تعيين بعض القبائل دون بعض ، ثم أخرج من ذلك بنتائجَ عَلَّها تكون مفيدة في الدرس اللغوي، والله المسؤول أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم.

وقد قسمت هذا البحث إلى تمهيد وثلاثة فصول وخاتمة:

أولا: التمهيد، وفيه: القبائل الست المذكورة في نص السيوطي والتعريف بها.

ثانيا: الفصل الأول وفيه: ذكر أول من قال بهذا التحديد، وبيان نصه، وأوجه الاختلاف بينه وبين من نقل عنه.

ثالثا: الفصل الثاني وفيه: بيان موقف الدارسين من هذا التحديد.

رابعا: الفصل الثالث وفيه: مناقشة القائلين بهذا التحديد.

خامسا: الخاتمة.

---

(*) أستاذ مشارك قسم اللغة العربية كلية الآداب جامعة الملك فيصل.

## التمهيد

القبائل الست في نص السيوطي، والتعريف بها.

كما اعتمد اللغويون على إطار زمني لتلقي اللغة عن العرب[١]، ذهب بعضهم إلى تضييق ذلك أيضا بتحديده لإطار مكاني داخل الإطار الزمني ؛ وذلك بتعيينه لقبائل ست تؤخذ عنها اللغة ولا تؤخذ من غيرها، والقبائل هي[٢]:

١- قيس.

٢- تميم.

٣- أسد.

٤- هذيل.

٥- بعض كنانة.

٦- بعض طيء.

فأما قيس فالمقصود به قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، وتتفرع منها قبائل شتى، منها:

هوازن وبنو عدوان وغطفان وسعد بن بكر وثقيف وعامر بن صعصعة وغيرهم[٣].

وأما تميم فهي من أكثر العرب[٤] وينتسبون إلى تميم بن مرة بن إد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، وهم يتفرعون إلى قبائل شتى من

---

[١] ينظر: خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ١/٥ وما بعدها فقد أجاد وأفاد.

[٢] ينظر: المزهر ١/١٦٧، والاقتراح: ٩١.

[٣] ينظر الاشتقاق لابن دريد ٢٦٢.

[٤] ينظر جمهرة أنساب العرب لابن حزم: ٢٠٧ .

أشهرها: بنو يربوع وجشم وحنظلة وزيد مناة وبنو عبد شمس والرباب وبنو العنبر[١].

وأما قبيلة أسد فهي تطلق عند النسابين على أكثر من قبيلة من قبائل العرب[٢]، من أشهرها: ١– بنو أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان، ومن أشهر بطون هذه القبيلة: جديلة، وعنزة[٣].

٢– وبنو أسد بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، ومن أشهر بطونها: بنو كاهل وبنو عمرو وبنو الصعب[٤].

والذي يترجح لي أن المقصود هي القبيلة الثانية ؛ لأمرين:

الأول: أن الأولى تسكن شمال الجزيرة العربية مختلطة بالروم، وهذا ما يتعارض مع الأسباب التي اختيرت لأجله هذه القبائل، والقبيلة الثانية من سكان الحجاز بل كثير منهم من سكان مكة وحلفاء قريش[٥].

الثاني: لأن الأولى مشتهرة ببطونها فيقال عنزي وجدلي ولا يقال أسدي، وإلى ذلك نحا بعض النسابين[٦].

وأما هذيل فهم من ينتسب إلى هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان[٧]، ومن أشهر قبائل هذيل: بنو سعد وبنو لحيان[٨].

---

[١] ينظر الاشتقاق لابن دريد ٣٢٠.

[٢] ينظر: الأنساب المتفقة في الخط المتماثلة في النقط والضبط: ٨.

[٣] ينظر الاشتقاق لابن دريد ٢٠١.

[٤] ينظر الاشتقاق لابن دريد ١٩٦، أنساب الأشراف للبلاذري ٢٨٤/٣.

[٥] أنساب الأشراف للبلاذري ٤٣٤/١.

[٦] ينظر: الأنساب المتفقة في الخط المتماثلة في النقط والضبط: ٨.

[٧] الأنساب للسمعاني ١٣/ ٣٩١.

[٨] جمهرة أنساب العرب لابن الكلبي: ١٣٠.

وأما ما ذكر من الاحتجاج ببعض كنانة فلم يبين من المراد بهم؟ فبنو كنانة قبيلة كبيرة منهم بنو النضر بن كنانة ومن هؤلاء قريش، ومنهم بنو عبد مناة وبنو عمرو بن كنانة[١]. فلعل المراد ببعضهم هنا قريش ومن سكن قريبا منها من أهل الحجاز؛ إذ هي أولى من يحتج بلغته لا سيما أنها لم تذكر في تعداد القبائل.

و طيء هو ابن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ، وفيهم بطون كثيرة منهم: بنو تيم بن ثعلبة، وبنو نبهان وبنو ثعل بن عمرو[٢].

ولم يبين مراده من بعضهم المذكور ولعل الأقرب إلى المراد أن يقصد بهم من سكن أواسط الجزيرة العربية دون من تفرق في أطرافها؛ إذ هم قد انتقلوا من اليمن على إثر خروج الأزد منه، ونزلوا سميراء[٣]، ثم غلبوا على أجأ وسلمى[٤].

يتبين من التعريف بهذه القبائل أن أغلب القبائل التي ذكرت هي من القبائل العدنانية، ولكن هذه القائمة حوت أيضا بعض القبائل القحطانية وهي قبيلة طيء.

---

[١] جهرة أنساب العرب لابن حزم ١٨٠.

[٢] نسب عدنان وقحطان للمبرد: ١٨.

[٣] وهي مدينة لا تزال تعرف بهذا الاسم في جنوبي منطقة حائل قريبا من القصيم.

[٤] قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان للقلقشندي: ٧٢، هذا هو المشهور بين المؤرخين، وذهب بعضهم إلى أن طيء قد نزلت الحجاز وقت الإسلام، ينظر: معجم ما استعجم للبكري ٩٠/١.

## الفصل الأول

ذكر أول من قال بهذا التحديد، وبيان نصه، وأوجه الاختلاف بينه وبين من نقل عنه.

أول ما يستوقف الباحثَ في هذا الأمرِ نصُّ السيوطيّ السَائرُ في كتابيه: المزهر في اللغة والاقتراحِ في أصول النحوِ حيث يقول: " قال أبو نصر الفارابي في أول كتابه المسمى بـ (الألفاظ والحروف):

كانت قريش أجود العرب انتقادا للأفصح من الألفاظ، وأسهلها على اللسان عند النطق ، وأحسنها مسموعا وأبينها إبانة عما في النفس، والذين عنهم نقلت اللغة العربية وبهم اقتدي وعنهم أخذ اللسان العربي من بين كلام العرب هم:

قيس وتميم وأسد فإن هؤلاء هم الذين عنهم أكثر ما أخذ ومعظمه وعليهم اتكل في الغريب وفي الإعراب والتصريف ثم هذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم"[١].

هذا هو نص السيوطي –رحمه الله– وهو –كما نص على ذلك– ناقل عن الفارابي ؛ فنصّ الفارابي هو النص الأول في هذا التحديد، ولم أر أحدا قال بتحديد هذه القبائل قبله ، فلذلك كان لا بد من إيراد نص الفارابي بحروفه.

قال أبو نصر الفارابي في كتاب الحروف: "وكان الذي تولى ذلك –أي أمر اللغة– من بين أمصارهم أهل الكوفة والبصرة من أهل العراق فتعلموا لغتهم والفصيح منها من سكان البراري من كان في أوسط بلادهم ومن أشدهم توحشا وجفاء، وأبعدهم اذعانا وانقيادا، وهم قيس وتميم وأسد وطيء، ثم هذيل، فإن هؤلاء معظم من نقل عنهم اللسان العربي، والباقون لم يؤخذ عنهم شيء..."[٢]

---

[١] المزهر ١٦٧/١، والاقتراح: ٩١.

[٢] كتاب الحروف لأبي نصر الفارابي تحقيق: محسن مهدي: ١٤٧.

هذا النص –كما قدمت– أقدم ما وقفت عليه في تحديد القبائل المشار إليها.

وأبو نصر الفارابي هذا هو الفيلسوف المعروف المتوفى ٣٣٩ هـ، كان زاهدا عالما بالحكمة والموسيقى ومقولات حكماء اليونان[١]، ولكنه لم يشتهر عنه أنه كان عالما باللغة أو بأصولها أو بالنحو أو شيء من علومها[٢]، وهذا يدل على أنه اعتمد في كلامه هذا على أسس نظرية فلسفية لا علاقة لها بالواقع اللغوي، وهذا ما يتبين عند قراءة الكتاب وخاصة ما قبل هذا النص وما بعده[٣].

وبهذا يتبين عدة أمور:

١- أن قائل هذا التحديد ليس من علماء اللغة الذين يؤخذ عنهم أصولها، بل لم يعد من علماء العربية أصلا.

٢- أنه لم ينقل هذا الكلام عن أحد من علماء اللغة الذين يرجع إليهم في بيان مآخذ اللغة العربية وأصولها، بل هو صادر منه ابتداء.

٣- أن هذا الكلام لم يتم بعد دراسة ميدانية للغة؛ فليس قائله ممن ألف في النحو أو المعاجم أو أصول اللغة.

وممن ذكر هذه القبائل للاحتجاج بها دون بعض أبو زكريا محمد الشاوي المتوفى ١٠٩٦هـ، فقد ذهب في كتابه ارتقاء السيادة في أصول النحو إلى أن القبائل المحتج بها: قيس وتميم وأسد ثم هذيل وبعض الطائيين[٤]، ويبدو لي أن هذا النص مبتور من نص السيوطي السابق، مع أن المؤلف لم يشر في كلامه إلى الفارابي أو السيوطي، والغريب أنه بعد أن ذكر هذه القبائل بدأ يشيد بلغة

---

(١) وليس هو الجوهري صاحب الصحاح؛ إذ كلاهما له نفس الكنية واللقب، ينظر: الوافي بالوفيات للصفدي ١٠٢/١، ٦٩/٩.

(٢) ينظر: تاريخ الإسلام ١٨٢/٢٥، وتاريخ ابن الوردي ١/ ٢٧٤، والبداية والنهاية ٢٥٣/١١.

(٣) ينظر: الحروف: ١٤٥-١٤٨.

(٤) ارتقاء السيادة : ٧٩.

قريش مع أن القبائل التي ذكرها ليس فيها ذكر لقريش من قريب أو بعيد[١] ، فقال بعد تعداده السابق للقبائل: " ... وبعض الطائيين؛ لأن قريشا أفصح العرب انتقادا للأفصح ..."[٢]، وتكملته هذه تؤيد ما ذهبت إليه من أنه مبتور من كلام السيوطي السابق فلذلك سأكتفي بالمقارنة بين النص الذي جاء في كتاب الحروف للفارابي والنص الذي أورده السيوطي.

وبالنظر إلى النصين يتبين وجه الفرق بينهما:

- فالقبائل التي ذكرها الفارابي هي: قيس وتميم وأسد وطيء ومن بعدهم هذيل؛ فالمحتج بهم عنده خمس قبائل لا ست، وأما السيوطي فقد ذكر قيس وتميم وأسد وهذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين؛ فهي ست.
- أن النص الذي أورد الفارابي يقيد الاحتجاج بكلام طيء من غير تقييد، أما نص السيوطي فلا يقبل كل كلام طيء، بل يكتفي ببعضهم.
- نقل السيوطي عن الفارابي الإشادة بلغة قريش ومدحهم، وأنهم أفصح العرب، وأجودها ألفاظا، وأحسنها بيانا، وهذا ما لم يكن موجودا في نص الفارابي.
- ولعل الفارق الرئيس بينهما هو ما زاده السيوطي على الفارابي من احتجاجه ببعض كنانة، ولعل الذي دفعه لذلك هو الحرج الكبير الذي يفيده الاقتصار على ما أورده الفارابي؛ إذ إنه لا يتضمن الاحتجاج بلغة قريش التي هي من كنانة، وهذا أمر غير مقبول ؛ إذ هي –كما يقول ابن فارس– ممن أجمع العلماء بكلام العرب، والرُّواةُ لأشعارهم، والعلماءُ بلُغاتهم وأيامهم ومَحالّهم أنها أفصحُ العرب ألْسنةً وأصْفاهم لغةً[٣].

---

[١] ومع هذا لم ينبه على هذا الخلط محقق الكتاب.

[٢] ارتقاء السيادة: ٧٩.

[٣] الصاحبي: ٢٨.

- أضاف السيوطي رحمه الله في نصه السابق التصريح بعلّة عدم الأخذ من غير القبائل السابقة بقوله –ناقلا عن الفارابي أيضا–: " .... فإنه لا يؤخذ لا من لخم ولا من جذام فإنهم كانوا مجاورين لأهل مصر والقبط، ولا من قضاعة ولا من غسان ولا من إياد فإنهم كانوا مجاورين لأهل الشام وأكثرهم نصارى يقرؤون في صلاتهم بغير العربية، ولا من تغلب والنمر فإنهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونانية، ولا من بكر؛ لأنهم كانوا مجاورين للنبط والفرس ولا من عبد القيس لأنهم كانوا سكان البحرين مخالطين للهند والحبشة ،ولا من أزد عمان لمخالطتهم للهند والفرس، ولا من أهل اليمن أصلا لمخالطتهم للهند والحبشة ولولادة الحبشة فيهم، ولا من بني حنيفة وسكان اليمامة ولا من ثقيف وسكان الطائف لمخالطتهم تجار الأمم المقيمين عندهم ..."[1] وهكذا تراه يعدد القبائل ويرد الاستشهاد بلغتها بسبب مكانها الجغرافي من الجزيرة العربية، أو بسبب اختلاطها بغيرها من الأعاجم أو ممن ليسوا من العرب التي يحتج بهم، وهذا ما ليس موجودا في كتاب الحروف للفارابي.

[1] الاقتراح: ٩١.

## الفصل الثاني

بيان موقف الدارسين من هذا التحديد.

اختلفت آراء الدارسين في قبول هذا التحديد القبلي الجغرافي لأخذ اللغة؛ فمنهم من ذهب إلى صحة نسبة ذلك إلى اللغويين وأنهم لم يأخذوا إلا من تلك القبائل، ومنهم من خصه بالمدرسة البصرية فقط، وسأبين ذلك بمزيد من التفصيل:

أ– من ذهب إلى صحة نسبته إلى اللغوين.

ممن ذهب إلى أن هذا التحديد القبلي الجغرافي صحيح وأن اللغة لم تؤخذ إلا من هذه القبائل الدكتور إبراهيم السيد فقد ذهب إلى أن الرواة وعلماء اللغة لم يأخذوا إلا من القبائل التي تسكن في وسط الجزيرة العربية ونسبوا إليها الفصاحة، لاعتقادهم عدم تسرب اللحن إلى لغاتها، ثم أخذ يعدد تلك القبائل الست ذاهبا إلى أنها هي من أخذت عنها اللغة[١].

ومنهم كذلك الدكتور حسام أحمد قاسم ، حيث قال بعد ذكره لهذه القبائل: ونستطيع حينئذ أن نقرر أن النحاة قد التزموا بالقيد المكاني[٢].

وممن ذهب إلى ذلك أيضا الدكتور محمد عيد [٣]، والدكتور محمد إبراهيم عبادة[٤].

ب– من خصه بالمدرسة البصرية:

ممن ذهب إلى صحة ما ذكر من تخصيص أخذ اللغة من القبائل الست بالنسبة إلى أصول المدرسة البصرية الدكتور رمضان عبد التواب فقد ذكر في

---

[١] اللهجات القديمة وبناء الجملة في العربية الفصحى: ٢١

[٢] الأسس المنهجية للنحو العربي: ١٦٢.

[٣] المستوى اللغوي للفصحى واللهجات: ٦٩ – ٧٠

[٤] النحو العربي أصوله وأسسه وقضاياه وكتبه مع ربطه بالدرس اللغوي الحديث: ٣١.

كتابه فصول في فقه اللغة: أن هذا التحديد بالقبائل المعينة ورفض لغة من سواهم هو خاص بالمدرسة البصرية ، وقد كانوا يسمون لغات غير هذه القبائل الست لغات شاذة، لا يعبؤون بها[١].

ومنهم الدكتور فتحي الدجني في كتابه: ظاهرة الشذوذ في النحو العربي؛ فقد رأى أن البصريين رفضوا الأخذ من القبائل العربية ما عدا هذه الست واقتصروا عليها ، ونتيجة لذلك فقد رفضوا كثيرا من أقوال العرب وأبوا الأخذ إلا من أفصحها، وأبعدها تأثرا بالأعاجم، ممن سكنوا أواسط الجزيرة العربية[٢].

ومن هؤلاء الدكتورة خديجة الحديثي[٣]، والدكتور قاسم القواسمة[٤].

وأحسب أن الذي دفعهم لذلك هو التسليم لهذا التحديد الذي ذكره الفارابي من غير مناقشته، ولو تمت دراسة هذا النص تاريخيا ولغويا لما تمت نسبته لهذه المدرسة، ويكفي في عدم وثوق هذه النسبة للمدرسة البصرية أنها لم تنقل عن أئمة هذه المدرسة، ولم تتم بعد دراسة ميدانية للواقع اللغوي[٥].

---

[١] فصول في فقه اللغة : ١٠٧.

[٢] ظاهرة الشذوذ في النحو العربي ٩٢-٩٣.

[٣] الشاهد وأصول النحو في كتاب سيبويه: ٨١.

[٤] طعن النحاة واللغويين في لغات العرب : ٧٦.

[٥] ينظر: المنهج الوصفي في كتاب سيبويه: ٥٣ – ٥٤.

## الفصل الثالث

مناقشة القائلين بهذا التحديد

لعلّ النَّاظِر في نصوص الذين حددوا القبائل السّت للاحتجاج بها دون غيرها يجد أن النقطة المركزية التي استند عليها في تحديد القبائل التي يعتد بلغتها، ونفي الاحتجاج عن غيرها من القبائل، تعتمد –عند إنعام النظر– على ثلاثة أمور رئيسة أود مناقشتهما:

الأمر الأول: أن القبائل العربية ليس بينها اختلاط وتواصل حتى لا تفسد لغة من لا يحتج بها لغة القبيلة التي يحتج بها؛ وكأن كل قبيلة في انعزال جغرافي عن القبائل الأخرى.

الأمر الثاني: أن القبائل المحتج بها هم القبائل التي في وسط الجزيرة العربية.

الأمر الثالث: أن القبائل المحتج بلغتها لم تكن تلتقي إلا بالعرب الفصحاء التي يحتج بهم فقط؛ لكيلا تؤثر على لغتهم.

فأما الأمر الأول فغير دقيق؛ إذ العرب كانت في مخالطة شبه دائمة ؛ في حياتهم الاجتماعية، والدينية .

ففي الحياة الاجتماعية كانوا يتزوجون من القبائل الأخرى، ويصاهرونهم، ومن ينظر في كتب الأنساب مثلا يرَ مدى اختلاط أنساب العرب بعضهم ببعض[١]، وقد جاء في الأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله:

[١] ينظر على سيل المثال: أنساب الأشراف للبلاذري ٤١/١، و ٦٤، ٨٨، و ١٨٠.

((أنا ابن العواتك)) [1] وفي رواية: ((أنا ابن الفواطم)) [2] ، وهن من قبائل شتى[3].

وفي الحياة الدينية كانت العرب تحج البيت كل سنة، ويختلط بعضهم ببعض، قال السيوطي في المزهر في علوم اللغة نقلا عن الفراء: " كانت العربُ تحضر المَوسِم في كل عام وتحجُّ البيتَ في الجاهلية" [4].

ولعل الاختلاط في الحياة الاجتماعية كان أكثر؛ إذ لم يكتف العرب بموسم واحد يجتمعون فيه، بل تعددت أسواقهم في الجاهلية التي يختلطون فيها، قال الصحاري: "وأسواق العرب في الجاهلية عشر، فأولها: سوق دومة. ثم المشقر بهجر. ثم صحار. ثم دبا، وكانت إحدى فرضتي العرب. ثم الشِّحر. شِحر مهرة. ثم عدن. ثم صنعاء. ثم الراية بحضرموت. وعكاظ. ثم ذو المجاز "[5].

بل أوصلها الأستاذ سعيد الأفغاني بعد التتبع إلى إحدى وعشرين سوقا للعرب في الجاهلية كانوا يجتمعون فيها[6].

ومما يزاد على هذا اختلاطهم في حروبهم مع بعضهم؛ إذ كانت حروبهم في كثير من الأحيان تستمر عدة سنوات[7]، وهم في ذلك كله مختلطين أشد الاختلاط[8].

---

[1] ينظر: تاريخ ابن عساكر ١٠٨/٣، و ١١٠، وفيض القدير شرح الجامع الصغير ٣٨/٣.

[2] ينظر: المصادر السابقة.

[3] ينظر: الطبقات الكبرى لابن سعد ٦١/١، و أنساب الأشراف للبلاذري ١/ ٥٣٢.

[4] المزهر ١٧٥/١.

[5][5] الإبانة في اللغة العربية ٣٢/١.

[6] ينظر: أسواق العرب في الجاهلية والإسلام: ٢٢٥.

[7] كحرب بكر وتغلب إذ مكثت أربعين سنة، تاريخ ابن الأثير ٤٨٤/١.

[8] فقه اللغة في الكتب العربية لعبده الراجحي: ١١٨.

وهذا يدل على مدى الارتباط والالتقاء بين العرب بعضهم ببعض على مدار السنة.

يضاف إلى ذلك أن العرب –باديتهم وحاضرتهم– لم يكونوا في استقرار دائم في أوطانهم إلا النادر منهم، فقد كانوا ذوي رحلات متعددة، فالبدو منهم في ارتحال دائم طلبا للكلأ والماء، فهم يعتمدون في حياتهم على الحيوانات، فكانوا مضطرين للبحث عن غذاء لما يملكون من ماشية، ولهذا كانوا يتتبعون مواقع الغيث ومنابت الكلأ لينزلوا بها، حيث يجدون هناك ما يفي بحاجتهم وحاجة حيواناتهم من غذاء وماء. فكان وجودهم تابعا لوجود الكلأ ونفاده، فإقامتهم في المكان كانت لفترة، تنتهي بانتهاء ما فيه من عشب وماء، فإذا نضب الماء شدوا رحالهم إلى مكان آخر لفترة أخرى، وهكذا باستمرار.

وأما حاضرتهم–وإن كانوا أقل ارتحالا من البدو بطبيعة الحال– فلهم أسبابهم المختلفة في الانتقال: فعلى سبيل المثال كثرة النسل تؤدي إلى ضيق المكان بأهله، وذلك يجعل القوم يحاولون توسيع الرقعة التي ينزلونها، إما حواليها وفيما يتصل بها إن كان هناك ما يسمح لهم بذلك، وإما بالبحث عن مكان أوسع في بقعة أخرى، وقد يكون ذلك بارتحال الكل أو بعضهم تبعًا لمقتضيات الأحوال.

كما أن الحروب والشقاق والتناحر والتنافس كثيرًا ما ينجم عنها هجرات، واحتلال وارتحال، كما تسجله لنا كتب التواريخ.[١]

[١] ينظر: صفة جزيرة العرب للهمداني: ١٧٣، وتاريخ ابن الأثير ٤٥٤/١، والمفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٤٣/٢.

هذه الأمور مجتمعة تدل على أن العرب في الجاهلية كانوا على اتصال داخلي بعضهم ببعض، واتصال خارجي بغيرهم ممن جاورهم، أو بعد عنهم، ممن كانت تربطهم بهم روابط تستدعي هذا الاتصال.

كما كانت هناك اتصالات تجمع بين عدة قبائل بحكم الروابط الاجتماعية أو السياسية كالنسب والجوار والتحالف، وكذلك هناك اتصالات تضم عددًا كبيرًا من القبائل شماليها وجنوبيها، كلها أو معظمها، في مناسبات عامة وعلى نطاق واسع، كالأسواق ومواسم الحج، وفي هذه المناسبات تعقد المجالس والندوات.

وكذلك اتصاله بخارج محيطه العربي ، إذ مقتضيات الحياة دائمًا تتطلب ذلك في جميع العصور والأحوال، فلدى كل من الجانبين ما يحتاج إليه الآخر، ومن ثم كان لا بد من الاتصال الخارجي تبعًا لاحتكاك المصالح، وتبادل المنافع، ومن ذلك ما سجله القرآن من رحلة الشتاء والصيف –كما سأتحدث عنه قريبا– .

فلم يكن الجاهلي –أيا كانت قبيلته– يعيش بمعزل تام عن القبائل العربية الأخرى، بل لم يكن منعزلا عن العالم الخارجي[1].

وأما الأمر الثاني، وهو أن القبائل التي تم الاحتجاج بها كانت في وسط الجزيرة العربية، فيرده أنه تم الاحتجاج بلغة قريش وهي غربي الجزيرة العربية بجانب البحر، ولم يتم الاحتجاج –في القائمة– بلغة بني حنيفة وهم سكان اليمامة في وسط الجزيرة العربية، بل تم الاحتجاج بقبيلة دون أخرى من قبائل عدة كانت تسكن نفس المكان؛ فالحجاز كانت تقطنه أسد،

---

[1] خلافا لما ذهب إليه الدكتور إبراهيم السيد من أن كل قبيلة كانت في انعزال خاص عن بقية القبائل، ينظر: اللهجات القديمة وبناء الجملة في العربية الفصحى: ١٨.

وعبس، وغطفان، وفزارة، ومزينة، وفهم، وعدوان، وهذيل، وخثعم، وسلول، وهلال[١]، ومع ذلك لم يتم ذكرها جميعا في قائمة القبائل المستشهد بها.

وأما الأمر الثالث الذي افترضته قائمة القبائل، وهو افتراض عدم اختلاط القبائل المحتج بها بغيرها فيرده الأمور السابقة، ويرده أمر هو أعظم من هذا كله، وهو مخالطة بعض من احتج بلغتهم بالأعاجم، ولنأخذ قريشا مثالا على ذلك:

كانت قريش تعتمد في حياتها على التجارة؛ إذ كان موقعهم الجغرافي –وهم قطان بيت الله– يجعلهم مخالفين لبقية العرب ؛ إذ كانوا ينتقلون آمنين لا يتعرض لهم أحد[٢] ، وهذا ما سهل عليهم القيام برحلاتهم التجارية، حتى وصفوا بين العرب بالتجار[٣]، إذ كانوا هم الواسطة في نقل التجارة من جنوب الجزيرة العربية إلى بلاد الشام، وبالعكس[٤]، فقد كانت لهم رحلتان كلّ سنة كما هو مذكور في القرآن، قال الله تعالى:{ٱ ب ب ٻ ٻ پ پ پ} [سورة قريش: ١-٢] وفي هاتين الرحلتين كانوا يلتقون بالأعاجم؛ إذ كانت رحلة الشتاء إلى الحبشة واليمن[٥]، ورحلة الصيف إلى الشام، ومعلوم أن الشام كان يقطنها الروم، ولم يكن يكتفون بذلك بل كانوا ربما سافروا للتجارة إلى فارس والحبشة[٦].

وبهذا يظهر أن ترك الاستشهاد ببعض القبائل لمجاورتهم لبعض الأعاجم الذين أتوا إلى بلادهم، أو لاختلاطهم بغير العرب في بعض الحدود

---

[١] معجم ما استعجم للبكري ٩٠/١.

[٢] التحرير والتنوير ٥٨/٧، و٥٥٤/٣٠.

[٣] المصدر السابق ٥٨/٧.

[٤] المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ١١٣/٧، وتاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية: ٤٢.

[٥] التحرير والتنوير ٥٥٨/٣٠.

[٦] تاريخ آداب العرب للرافعي ٦٣/١.

الزمانية أو المكانية لا يمكن أن يعتبر مقياسا دقيقا؛ إذ لو طردنا ذلك لما احتججنا بلغة قريش لاختلاطها بالأعاجم، وهذا ما لم يقل به أحد بل هو خارق للإجماع الذي نقله ابن فارس أنها –أي قريش– أفصح العرب[1].

[1] الصاحبي: ٢٨.

**الخاتمة.**

بعد هذه الدراسة لتحديد القبائل الست تبين ما يلي:

١- أن أول من وجدته ذكر هذا التحديد أبو نصر الفاربي الفيلسوف.
٢- أن هذا التحديد لم ينقل عن أئمة اللغة المعتد بهم.
٣- أن الإمام السيوطي -رحمه الله- لم يكن دقيقا في النقل عن الفارابي، فقد تبينت فوارق كثيرة وبعضها أساسيّ بين النصين.
٤- أن هذا التحديد يفرض انعزال القبائل عن بعض، انعزالا تاما، وعدم تداخلهم جغرافيا واجتماعيا، وهذا ما لم يكن موجودا.
٥- أن التسليم لهذا النص من غير مناقشته أوقع بعض الباحثين في البحث له عن مخرج، وهذا ما جعلهم يسندونه لمدرسة من المدارس اللغوية دون أخرى.
٦- إسناد هذا التحديد للبصريين لم ينقل عن أحدٍ من أئمتهم.

## المراجع


١. القرآن الكريم.
٢. الإبانة في اللغة العربية، سلمة بن مسلم العوتبي الصحاري، تحقيق: د/ عبد الكريم خليفة وآخرون، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.
٣. ارتقاء السيادة في علم أصول النحو العربي، يحيى محمد الشاوي المغربي، تحقيق: د/ عبد الرزاق السعدي، دار الأنبار، الطبعة الثانية، ١٤٣١هـ.
٤. الأسس المنهجية للنحو العربي، د/ حسام أحمد قاسم، دار الآفاق العربية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م.
٥. أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، لسعيد الأفغاني.
٦. الاشتقاق، لأبي بكر محمد ابن دريد، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.
٧. الاقتراح في أصول النحو، لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: د/ محمود فجال، دار القلم، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.
٨. أنساب الأشراف، لأحمد البلاذري، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي، دار الفكر، الطبعة الأولو ١٤١٧هـ.
٩. الأنساب المتفقة في الخط المتماثلة في النقط والضبط، لابن القيسراني، تحقيق: كمال الحوت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ.
١٠. الأنساب، لعبد الكريم السمعاني، تحقيق، عبد الرحمن المعلمي، دار المعارف العثمانية، ١٩٦٢م.
١١. البداية والنهاية، لأبي الفداء ابن كثير، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

١٢. تاريخ ابن الأثير الكامل في التاريخ، لأبي الحسين علي بن الأثير، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

١٣. تاريخ ابن الوردي، لعمر بن مظفر زيم الدين ابن الوردي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

١٤. تاريخ آداب العرب، لمصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي.

١٥. تاريخ الإسلام، لشمس الدين الذهبي، تحقيق: عمر التدمري، دار الكتاب العربي، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ.

١٦. تاريخ دمشق، لأبي القاسم علي ابن عساكر، تحقيق: عمرو العمروي، دار الفكر، ١٤١٥ هـ.

١٧. تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية، د/ عمر فروخ، دار العلم للملايين، ١٩٧٠م.

١٨. التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية، ١٩٨٤م.

١٩. جمهرة أنساب العرب، لأبي المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي، رواية السكري عن ابن حبيب، تحقيق: د/ ناجي حسن، عالم الكتب مكتبة النهضة العربية، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ .

٢٠. جمهرة أنساب العرب، لأبي محمد علي ابن حزم الظاهري، تحقيق: لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ.

٢١. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، لعبد القادر البغدادي، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، الطبعة الرابعة، ١٤١٨هـ.

٢٢. الشاهد وأصول النحو في كتاب سيبويه، د/ خديجة الحديثي، مطبوعات جامعة الكويت، ١٣٩٤هـ.

٢٣. الصاحبي في فقه اللغة ومسائلها وسنن العرب في كلامها، لأبي الحسين أحمد بن فارس، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.

٢٤. صفة جزيرة العرب، لابن الحائك الهمداني، مطبعة ليدن، ١٨٨٤م.

٢٥. الطبقات الكبرى لأبي عبد الله محمد بن سعد، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، الطبعة الأولى، ١٩٦٨م.

٢٦. طعن النحاة واللغويين في لغات العرب، د/ قاسم خليل حسن القواسمة، دار الحامد ، الطبعة الأولى، ١٤٣٣هـ.

٢٧. ظاهرة الشذوذ في النحو العربي، د/ فتحي عبد الفتاح الدجني، وكالة المطبوعات في الكويت، الطبعة الأولى، ١٩٧٤م.

٢٨. فصول في فقه اللغة، د/ رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، الطبعة السادسة، ١٩٩٩م.

٢٩. فقه اللغة في الكتب العربية، د/ عبده الراجحي، دار النهضة العربية.

٣٠. فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبد الرؤوف المناوي، المكتبة التجارية الكبرى، الطبعة الأولى ١٣٥٦هـ.

٣١. قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، لأبي العباس القلقشندي، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ.

٣٢. كتاب الحروف، لأبي نصر الفارابي، تحقيق: د/ محسن مهدي، دار المشرق، الطبعة الثانية، ١٩٩٠م.

٣٣. اللهجات القديمة وبناء الجملة في العربية الفصحى، د/ إبراهيم يوسف السيد، بحوث ودراسات في اللغة العربية وآدابها، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١٣هـ.

٣٤. المزهر في علوم اللغة وأنواعها، لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.

٣٥. المستوى اللغوي للفصحى واللهجات، د/ محمد عيد، دار عالم الكتب.

٣٦. معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، لأبي عبيد البكري الأندلسي، دار عالم الكتب، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣هـ.

٣٧. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، د/ جواد علي، دار الساقي الطبعة الرابعة، ١٤٢٢هـ.

٣٨. المنهج الوصفي في كتاب سيبويه، د/ نوزاد حسن أحمد، دار دجلة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م.

٣٩. النحو العربي أصوله وأسسه وقضاياه وكتبه مع ربطه بالدرس اللغوي الحديث، د/ محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ.

٤٠. نسب عدنان وقحطان، لمحمد بن يزيد المبرد، تحقيق: عبد العزيز الميمني، مطبعة لجنة التأليف والترجمة بالهند، ١٣٥٤هـ.

٤١. الوافي بالوفيات ، لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ.